بين الرسم العثماني والرسم الإملائي،دراسة نقدية لرأي ابن خلدون

د. السيد سيد أحمد نجم*، د. محمد صلاح الدين أحمد فتح الباب**

سلم البحث في ٣/١/١٤٤٠هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ٩/٢/١٤٤٠هـ

ملخص البحث:

من المعلوم أن بين الرسم العثماني لآيات الكتاب الكريم والرسم الإملائي فروق، يختلف باختلافها نطق اللفظ، وحكمه، وتلاوته، وإعرابه، ومعناه، وقد التزم كثير من العلماء بكتابة القرآن الكريم وفقا للرسم العثماني، بينما رأى البعض أنه لا غضاضة في عدم الالتزام بهذا الرسم، إذ يمكن كتابة الآيات وفقا للرسم الإملائي، وقد خصص هذا البحث لبيان هذين الرسمين، وما يترتب على كل منهما.

Abstract:

It is known that between the Ottoman drawing of the verses of the Holy Book and the orthographic drawing are differences, the pronunciation of the word differs, its ruling, its recitation, its translation, and its meaning . The verses can be written according to the spelling drawing, and this research has been devoted to the explanation of these two drawings, and the consequences of each of them.

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ، وبعد: فلقد عني علماء الإسلام بالرسم العثماني[1] للقرآن الكريم قديما وحديثا بطرق شتى، بين باحث لهذا الرسم عن حكم وأسرار وإعجاز، وبين مخالف لهذا الرسم مجوّز لمخالفتها، وبين دارس لها من الناحية اللغوية وغير ذلك، حتى ذكر الإمام الزرقاني ﷺ في كتابه (مناهل العرفان) فوائد الرسم ومزاياه بما يلي:

الفائدة الأولى: مراعاة القراءات المتنوعة في الرسم، وذلك عن طريق وضع قاعدة للرسم القرآني يمكن بفضلها قراءة الكلمة وفقا للقراءتين معا... وهذا المنهج يوحد الرسم القرآني، ويجعله قابلا للقراءات المتعددة.

الفائدة الثانية: إفادة المعاني المختلفة، وذلك عن طريق الإشارة الإملائية إلى التفاوت بين المعاني في الكلمات التي تنطق بطريقة متماثلة، بحيث يدرك القارئ المراد من خلال الإشارة الإملائية إلى المعنى.

الفائدة الثالثة: الدلالة على بعض المعاني الخفية، كما في كتابة (أيد) في قوله تعالى:﴿والسّماء بنيناها بأيد﴾. وقد كتبت بزيادة الياء، للإيماء إلى تعظـيم قوة الله في

---

* أستاذ مشارك التفسير وعلوم القرآن جامعة المدينة العالمية بماليزيا.

** أستاذ مشارك النحو والصرف والعروض جامعة المدينة العالمية بماليزيا.

بناء السماء.

الفائدة الرابعة: الدلالة على أصل الحركة، كما في قوله تعالى: {سأريكم دار الفاسقين}. والأصل أن تكتب سأريكم، وكذلك الأمر في لفظ الصلاة والزكاة، حيث كتبت بالواو، لأن الألف منقلبة عن الواو.

الفائدة الخامسة: مراعاة بعض اللغات الفصيحة، وذلك عن طريق الإشارة إلى بعض لغات العرب في حذف بعض الأحرف.

الفائدة السادسة: الاعتماد في القرآن على الحفظ وليس على الكتابة، لأن الرسم العثماني لا يطابق النطق، ويحتاج القارئ إلى حفظ القرآن لكي يتمكن من القراءة الصحيحة.(٢)

وكان ممن تكلم في ذلك العلامة ابن خلدون ﷺ(ت ٨٠٨هـ)، حيث قال:"..وإن الخط العربي كان لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة ولا إلى التوسط لمكان العرب من البداوة والتوحش وبعدهم عن الصنائع، وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم وكانت غير مستحكمة في الإجادة،..". أهـ.[٢]

وبمشيئة الله –تعالى– سأتناول رأي ابن خلدون ﷺ بدراسة نقدية بعنوان:"بين الرسم العثماني والرسم الإملائي– دراسة نقدية لرأي ابن خلدون ﷺ "متبعا في ذلك المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي.

مشكلة البحث:

تتضح مشكلة البحث في أن ابن خلدون ﷺ ذكر رأيا في قضية رسم المصحف يناقض الدراسات التاريخية والأدلة المتبعة حول قضية الكتابة في العصور المتقدمة، وأرجع ذلك إلى عدم إحكام وإتقان وإجادة الكتبة الأول، معللا ذلك ببداوتهم وبعدهم عن الصنائع، واستشهد على ذلك برسم المصحف.

أسئلة البحث:

وهذا البحث يجيب على التساؤلات التالية:

– ما موقف ابن خلدون في قضية رسم المصحف الشريف؟

– ما اتجاه العلماء في أسباب الرسم العثماني ؟

– ما الرأي الراجح في مسألة كتابة المصحف الشريف بالخط الإملائي الحديث؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى توضيح رأي ابن خلدون ومحاولة التماس العذر له، وإلى

بيان الرأي الصواب في قضية رسم المصحف الشريف بوسائل الكتابة الحديثة، ومتى يتم اللجوء إلى الكتابة الحديثة في رسم المصحف الشريف ؟

مصطلحات البحث:

الرسم العثماني، الرسم الإملائي، ابن خلدون وموقفه من الرسم العثماني.

أهمية البحث:

البحث مهم في بابه حيث إنه يزيل اللثام عن قضية متعلقة بأشرف الكتب وهو القرآن الكريم، وهي قضية الرسم الحديث للمصحف الشريف، كما أنه يوضح أيضا موقف ابن خلدون ﷺ، ويعرض الأدلة حول قضية رسم المصحف مرجحا بين الآراء بالأدلة ومعضدا الراجح برأي الأزهر الشريف،

هيكل البحث:

ينقسم البحث إلى: مقدمة وأربعة مباحث، وخاتمة:

المبحث الأول: اتجاه العلماء في أسباب الرسم العثماني.

المبحث الثاني: هل الرسم العثماني توقيفي؟

المبحث الثالث: رأي ابن خلدون ﷺ والرد عليه.

المبحث الرابع: قرار مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف.

الخاتمة: تتضمن أهم نتائج البحث وتوصياته.

نسأل الله تعالى الإخلاص والقبول، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

المبحث الأول
اتجاه العلماء في أسباب الرسم العثماني

تعددت اتجاهات العلماء في أسباب اختلاف الرسم إلى عدة اتجاهات:

الاتجاه الأول: أن الصحابة ﷺ كتبوا المصاحف على هذا النحو المعروف "الرسم العثماني" لعلل وأسرار كثيرة، تتفق مع مكانة القرآن الكريم وكيفية تلاوته، وهذا نوع من حفظ الله لكتابه حتى لا يتطرق إلى القرآن الكريم عبث العابثين أو تطرأ عليه أي تطورات للكتابة، ومن ذلك أننا كنا قديما نكتب كلمة: "الشئون" على نبرة، وبتطور الكتابة كتبناها على واو... ومثل ذلك ينزه عنه القرآن الكريم.

ومن علل وأسرار الرسم العثماني ما يلي:

– ظاهرة الزيادة: ومن أمثلة ذلك زيادة الياء في لفظ " بأييد" من قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الذاريات: ٤٧]، قال الإمام الزركشي:" إِنَّمَا

كُتِبَتْ {بِأَيْيدٍ} بياءين فرقا بين الأيد الَّذِي هُوَ الْقُوَّةُ وَبَيْنَ الْأَيْدِي جَمْعِ يَدٍ وَلَا شَكَّ أَنَّ الْقُوَّةَ الَّتِي بَنَى اللَّهُ بِهَا السَّمَاءَ هِيَ أَحَقُّ بِالثُّبُوتِ فِي الْوُجُودِ مِنَ الْأَيْدِي فَزِيدَتِ الْيَاءُ لِاخْتِصَاصِ اللَّفْظَةِ بِمَعْنًى أَظْهَرَ فِي إِدْرَاكِ الْمَلَكُوتِيِّ فِي الْوُجُودِ" (٣)

– ومن أسرار الرسم العثماني، أيضا احتمال وجوه القراءات في الكلمة الواحدة، وهذا ظاهر جدا في مثالين:

١–قوله تعالى: "﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٤]، حيث رسمت بدون ألف لتحتمل القراءتين، فقد قرأها حفص بالألف وقرأها غيره بدون ألف، قال الإمام الشاطبي ﷺ:

وَمَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ رَاوِيهِ نَاَصِرٌ

وَعَنْدَ سِرَاطِ وَالسِّرَاطَ لِ قُنْبُلاَ (٤)

٢–لفظ " الأيكة ":حيث وقعت في القرآن الكريم في أربعة مواضع، اثنان منها بألف، واثنان بغير ألف، فأما التي بالألف:

– قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ ۝٧٨﴾ [الحجر: ٧٨]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝١٤﴾ [ق: ١٤] والتي بغير ألف:

– قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝١٧٦﴾ [الشعراء: ١٧٦]

– قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ۝١٣﴾ [ص: ١٣]

والسبب في ذلك أن موضعي "الشعراء"، و"ص" فيهما قراءتان: الأولى: "ليكة" بلام مفتوحة بلا ألف وصل قبلها، ولا همزة بعدها، وفتح تاء التأنيث وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وأبي جعفر. والثانية: بهمزة وصل وسكون اللام وبعدها همزة مفتوحة وكسر التاء "الأيكة".

والقراءتان صحيحتان متواترتان.

– ظاهرة الحذف: ومن أمثلة هذه الظاهرة:

– حذف الألف: اختلاف القراءات، وبعضها يرجع إلى أسباب أخرى، قد لا ندرك لها سرا، وعلماء الرسم يقسمون الحذف إلى ثلاثة أقسام: حذف إشارة، وحذف اختصار، وحذف اقتصار ١.

– ومن ذلك حذف الألف من الأسماء الأعجمية. قال أبو عمرو الداني: "اتفقوا على حذف الألف من الأعلام الأعجمية المستعملة، كإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق،

وهارون، ولقمان، وشبهها، وأما حذفها من سليمان، وصالح، ومالك، وليست بأعجمية، فكثرة الاستعمال، فأما ما لم يكثر استعماله من الأعجمية فبالألف، كطالوت، وجالوت، ويأجوج، ومأجوج، وشبهها"،[٥]

– ومن أمثلة حذف الألف للإشارة إلى قراءتين أو أكثر: قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ ٩ البقرة. حذفت الألف من كلمة ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ لتحتمل قراءة "وما يُخَادعون" بالألف وضم الياء وفتح الخاء.[٦]

الاتجاه الثاني: اتجاه خطّأ الصحابة في الكتابة: وهذا الاتجاه يرى أن الاختلاف في كتابة المصاحف بظواهره المتقدمة كان ناشئا عن جهل الصحابة ﷺ بقواعد الخط وبعدهم عن الصنائع.

وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك فقال:" فكان الخطّ العربيّ لأوّل الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة ولا إلى التّوسّط لمكان العرب من البداوة والتوحّش وبعدهم عن الصّنائع، وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسمه الصّحابة بخطوطهم وكانت غير مستحكمة في الإجادة فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته أقيسة رسوم صناعة الخطّ عند أهلها. ثمّ اقتفى التّابعون من السّلف رسمهم فيها تبرّكا بما رسمه أصحاب الرّسول ﷺ وخير الخلق من بعده المتلقّون لوحيه من كتاب الله وكلامه. كما يقتفي لهذا العهد خطّ وليّ أو عالم تبرّكا ويتبع رسمه خطأ أو صوابا. وأين نسبة ذلك من الصّحابة فيما كتبوه فاتّبع ذلك وأثبت رسما ونبّه العلماء بالرّسم على مواضعه". [٧]

وهناك ردود كثيرة على هذا الرأي وكلها تؤكد أن العرب في الجاهلية كانوا يكتبون قبل الإسلام[٨].

المبحث الثاني
هل الرسم العثماني توقيفي؟

تعددت آراء العلماء في ذلك قديما وحديثا، ويمكن تلخيصها في ثلاثة اتجاهات:

الاتجاه الأول: أن رسم المصحف توقيفي لا يجوز تغييره، بل تحرم مخالفته لأنه أمر رسول الله ﷺ لكتّاب الوحي، وهو فعل الصحابة من بعده، وهو مذهب الجمهور، ونقل غير واحد الإجماع على ذلك، منهم الإمام الداني ﷺ[٩]، ونقله الإمام السيوطي ﷺ[١٠] وكذلك القاضي عياض ﷺ[١١]، وغيرهم.

الاتجاه الثاني: وهو رأي أبو بكر الباقلاني ﷺ، وابن خلدون ﷺ[١٢]، وغيرهما.[١٣]

ولهم أدلة فحواها:" أن كل من ادعى أنه يجب على الناس رسم مخصوص وجب عليه أن يقيم الحجة على دعواه، وأنى له ذلك".(١٤)

وقد رد على هذا الرأي بأدلة كثيرة ينظر إليها في مظانها. (١٥)

الاتجاه الثالث: جواز كتابة المصحف بالرسم الحديث لعامة الناس حسب قواعد الخط في أي عصر، مع الإبقاء على الرسم العثماني والمحافظة عليه للعلماء والخاصة، وإليه ذهب الإمام العز بن عبد السلام ﷺ والإمام بدر الدين الزركشي ﷺ. (١٦)

وقد رد على هذا الرأي بأنه يفتح مجالا للشك في القرآن الكريم، حيث يكون هناك رسمان متمايزان، فأيهما الصواب وأيهما الخطأ؟! (١٧)

وعليه: أرى أن رأي الجمهور هو المقدم لأنه كان بإقرار رسول الله ﷺ، وأنه فعل الصحابة ﷺ، وعليه الإجماع، وأنه نوع من أنواع إعجاز القرآن الكريم يجب المحافظة عليه، وهذا ما أقرته قرارات المجامع الفقهية. لأن قواعد الإملاء عرضة للتغيير والتبديل من جيل إلى جيل، ومن بلد إلى بلد، فلو كتب المصحف حسب الرسم القياسي وقواعد الإملاء الحديثة، لأدى ذلك إلى اختلاف المصاحف، ووقوع الناس في الإشكال ذاته، فلا يعرف الشامي القراءة في المصحف المصري، ولا المغربي في المشرقي، وهكذا تعود مشكلة الألفاظ قريبة من المشكلة التي حدثت أيام "عثمان بن عفان" رضي الله عنه.

على أن إخضاع المصحف للرسم الإملائي، ربما يكون مدعاة من قريب أو بعيد إلى التغيير في جوهر الألفاظ والكلمات القرآنية من أعداء الإسلام، وسد الذريعة أصل من أصول التشريع الإسلامي، فيجب سد الباب على كل من تسول له نفسه المساس بقدسية القرآن الكريم، وبقاء الرسم العثماني كما هو.

أيضا: أن تلاوة القرآن لها أحكام خاصة، لا يمكن أن تعرف إلا بالتلقي والمشافهة، حتى يتصل سند التلقي والإقراء من لدن رسول الله ﷺ إلى قيام الساعة، وهذه خاصية اختص الله بها القرآن الكريم، وبقاء الخط العثماني يدفع المسلمين إلى الحرص على التلقي من أهل الاختصاص، فتبقى سلسلة السند متصلة٢.

سادسا: أن الرسم العثماني له خصائص ومميزات ليست موجودة في الرسم الإملائي.[١٨] والله أعلم،

المبحث الثالث

رأي ابن خلدون ﷺ والرد عليه

يقول ابن خلدون في الفصل الثلاثين من الباب الخامس من الكتاب الأوّل ما

نصه: "فكان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة، ولا إلى التوسط لمكان العرب من البداوة والتوحش وبعدهم عن الصنائع. وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم، وكانت غير مستحكمة في الإجادة، فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته أقيسة رسوم صناعة الخط عند أهلها. ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها تبركاً بما رسمه أصحاب رسول الله، وخير الخلق من بعده المتلقون لوحيه من كتاب الله وكلامه، كما يقتفى لهذا العهد خط ولي أو عالم تبركاً، ويتبع رسمه خطأ أو صواباً. وأين نسبة ذلك من الصحابة فيما كتبوه، فاتبع ذلك وأثبت رسماً، ونبه العلماء بالرسم على مواضعه. ولا تلتفتن في ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفلين من أنهم كانوا محكمين لصناعة الخط، وأن ما يتخيل من مخالفة خطوطهم أصول الرسم ليس كما يتخيل، بل لكلها وجه. ويقولون في مثل زيادة الألف في لا أذبحنه: إنه تنبيه على أن الذبح لم يقع، وفي زيادة الياء في بأيد إنه تنبية على كمال القدرة الربانية، وأمثال ذلك مما لا أصل له إلا التحكم المحض. وما حملهم على ذلك إلا اعتقادهم أن في ذلك تنزيهاً للصحابة عن توهم النقص في قلة إجادة الخط. وحسبوا أن الخط كمال، فنزهوهم عن نقصه، ونسبوا إليهم الكمال بإجادته، وطلبوا تعليل ما خالف الإجادة من رسمه، وذلك ليس بصحيح. واعلم أن الخط ليس بكمال في حقهم، إذ الخط من جملة الصنائع المدنية المعاشية كما رأيته فيما مر. والكمال في الصنائع إضافي، وليس بكمال مطلق، إذ لا يعود نقصه على الذات في الدين ولا في الخلال، وإنما يعود على أسباب المعاش، وبحسب العمران والتعاون عليه لأجل دلالته على ما في النفوس. وقد كان النبي أمياً، وكان ذلك كمالاً في حقه، وبالنسبة إلى مقامه، لشرفه وتنزهه عن الصنائع العملية، التي هي أسباب المعاش والعمران كلها. وليست الأمية كمالاً في حقنا نحن، إذ هو منقطع إلى ربه، ونحن متعاونون على الحياة الدنيا، شأن الصنائع كلها، حتى العلوم الاصطلاحية. فإن الكمال في حقه هو تنزهه عنها جملة بخلافنا. ثم لما جاء الملك للعرب، وفتحوا الأمصار، وملكوا الممالك ونزلوا البصرة والكوفة، واحتاجت الدولة إلى الكتابة، استعملوا الخط وطلبوا صناعته وتعلموه وتداولوه، فترقت الإجادة فيه، واستحكم، وبلغ في الكوفة والبصرة رتبة من الإتقان، إلا أنها كانت دون الغاية. والخط الكوفي معروف الرسم لهذا العهد...."

هنا ينتهي أهمّ ما في كلامه– ممّا له متعلق بموضوعنا، ولكنّه واصل الحديث عن الكتابة والخط من حيث تطوّره وازدهاره فقال: "ثم انتشرت العرب في الأقطار

والممالك، وافتتحوا إفريقية والأندلس، واختط بنو العباس بغداد وترقت الخطوط فيها إلى الغاية، لما استبحرت في العمران، وكانت دار الإسلام ومركز الدولة العربية، وخالفت أوضاع الخط ببغداد أوضاعه بالكوفة، في الميل إلى إجادة وجمال الرونق وحسن الرواء. واستحكمت هذه المخالفة في الأمصار إلى أن رفع رايتها ببغداد علي بن مقلة الوزير[١٩] ثم تلاه في ذلك علي بن هلال الكاتب الشهير بابن البواب[٢٠]، ووقف سند تعليمها عليه في المائة الثالثة وما بعدها. وبعدت رسوم الخط البغدادي وأوضاعه عن الكوفة، حتى انتهى إلى المباينة. ثم ازدادت المخالفة بعد تلك العصور بتفنن الجهابذة في إحكام رسومه وأوضاعه، حتى انتهت إلى المتأخرين مثل ياقوت[٢١] والولي علي العجمي[٢٢]. ووقف سند تعليم الخط عليهم، وانتقل ذلك إلى مصر، وخالفت طريقة العراق بعض الشيء، ولقنها العجم هنالك، فظهرت مخالفة لخط أهل مصر أو مباينة. وكان الخط الإفريقي المعروف رسمه القديم لهذا العهد يقرب من أوضاع الخط المشرقي. وتميز ملك الأندلس بالأمويين، فتميزوا بأحوالهم من الحضارة والصنائع والخطوط، فتميز صنف خطهم الأندلسي، كما هو معروف الرسم لهذا العهد. وطما بحر العمران والحضارة في الدول الإسلامية في كل قطر. وعظم الملك ونفقت أسواق العلوم وانتسخت الكتب وأجيد كتبها وتجليدها، وملئت بها القصور والخزائن الملوكية بما لا كفاء له، وتنافس أهل الأقطار في ذلك وتناغوا فيه. ثم لما انحل نظام الدولة الإسلامية وتناقصت تناقص ذلك أجمع، ودرست معالم بغداد بدروس الخلافه، فانتقل شأنها من الخط والكتابة، بل والعلم إلى مصر والقاهرة، فلم تزل أسواقه بها نافقة لهذا العهد. وللخط بها معلمون يرسمون للمتعلم الحروف بقوانين في وضعها. وأشكالها متعارفة بينهم. فلا يلبث المتعلم أن يحكم أشكال تلك الحروف على أشكال تلك الأوضاع. وقد لقنها حسناً وحلقاً فيها دربة وكتاباً، وأخذها قوانين عملية فتجيء أحسن ما يكون..."[٢٣]

وقد استشهد ابن خلدون ﷺ بعدة ألفاظ قرآنية خالفت في زعمه الكتابة الحديثة المعروفة، والحق أن لهذه الكلمات توجيهات كثيرة اجتهد فيها العلماء قديما وحديثا كما سبق توجيه الإمام الزركشي ﷺ في كلمة: (بأييد).

أما عن كلمة: (لأذبحنه): فيذكر ابن البناء رحمه الله تعالى أن الألف زيدت "باعتبار معنى زائد بالنسبة إلى ما قبله في الوجود مثل: (أو لأَذبَحَنّه) أو (لأَوضَعوا خِلالَكُم) زيدت الألف تنبيها على أن المؤخر أشد وأثقل في الوجود من المقدم عليه لفظا. فالذبح أشد من العذاب والإيضاع "أشد فسادا" من زيادة الخبال. وظهرت الألف

في الخط لظهور القسمين في العلم".[٢٤]

ويرى الأستاذ: محمد شملول أنها زيدت "لتدل على التمهل والتفكر والاسترخاء قبل اتخاذ قرار ذبح الهدهد، والذي يدل على ذلك قول سليمان عليه السلام بعدها: قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾ (النمل: ٢١)، أي أنه لن يذبحه إلا بعد تفكير وروية، فلربما جاءه بسلطان مبين يبرر غيابه..وهذا ما حدث بالفعل، ويجب أن نأخذ في الاعتبار أن سليمان عليه السلام نبي من أنبياء الله، فلا يمكن أن يتخذ قرارا بدون رويّة وحكمة وعلم، خاصة وأن الله قد ءاتاه العلم".[٢٥]

فأما تعليله لضعف الخط كما زعم بمكان العرب من البداوة والتوحش وبعدهم عمّا سماه بالحضارة والعمران...فهو صحيح في حقّ عرب الجاهلية، وبذلك تعلّل قلة الكتابة وعدم انتشارها في ربوع الجزيرة العربية اللهمّ إلاّ حدودها المتاخمة للدول المتحضرة وبعض مدائنها كمكة والطائف ويثرب وخيبر وبعض مناطق اليمن التي أخذت من الحضارة بنصيب...أمّا الصحابة فكانوا في غاية التحضر، لأنّ الحضارة عند أهل الاختصاص – ليست الإنتاج المادي ولا ما يتبعها من انتشار الصنائع والحرف –كما يفهم من كلام ابن خلدون وإنّما هي تلك الاستعدادات المادية والمعنوية التي يعمل المجتمع على توفيرها للفرد حتى يمكّنه من الإنتاج والإبداع[٢٦]، والصحابة قد تمثلوا الإسلام وطبقوه في أحسن وأرقى صوره. وحتى إن أخذنا تسامحا وتجوّزا برأي ابن خلدون فإنّ الصحابة رضوان الله عليهم تعلموا الكتابة العربية، وبعضهم كزيد بن حارثة الذي تولى كتابة المصحف تعلّم مختلف اللغات والخطوط فأتقنها واستعان بقواعدها وأسسها، ووظفها في كتابة المصحف الشريف، وهذه من أسمى معالم الحضارة والعمران...

ثمّ إنّ الصحابة في فنّ الخطّ وصناعة الكتابة لم يبدؤوا من الصفر، بل أخذوا كتابة أقرب شعب متحضرٍ– على مذهب ابن خلدون فتعلموها وفق مبادئها وقواعدها الأصلية ثم تبنّوها واستعملوها في لغتهم... وكذلك صنعت الشعوب كلّها أخذت كتابات من قبلهم ثم تبنوها وطوّروها، ألم يكن الفنقيون أصحاب أوّل أبجدية في التاريخ مقلدين للفراعنة... وقد مرّت كتابتهم وأبجديتهم بثلاثة أطوار من حيث الإجادة والإتقان... فهل يقال إنّ الفينيقيين بعيدون عن الحضارة والعمران بسبب تقليدهم للفراعنة أوّلا، وبسبب ضعف خطّهم في مرحلته الأولى، مقارنة مع مراحله المتأخرة؟... طبعا لا.

وإنّ من مظاهر تحضّر الصحابة –على مذهب ابن خلدون– دائما وتمكنهم

من قواعد الرسم وصناعته، ما أضافوه للكتابة العربية خاصة والبشرية عامة من قواعد محكمة وضوابط في غاية الدّقة والإجادة والإتقان.[٢٧]

وفي رأيي أن ابن خلدون ﷺ جنح إلى وصف عام لحال الكتابة في صدر الإسلام، وهو مذهب بعض العلماء، إلا أن الروايات تشير إلى ممارسات كتابية متعددة، سواء في مدن الحجاز أو في الحواضر العربية في أطراف الجزيرة الشمالية، ففي مكة رغم أن الحياة لم تكن بالغة التحضر بالنسبة لذلك العهد وأن دواعي الكتابة كانت محدودة – إلا أنه لا ينكر أنهم حرروا أحيانا بعض العهود والمحالفات بينهم وبين القبائل المجاورة، رغم أن ذلك كان في نطاق ضيق،[٢٨]

وتشير الروايات إلى أن ورقة بن نوفل كان يكتب الكتاب العربي والكتاب العبراني،[٢٩]

كما تشير كتب التاريخ إلى استخدام الكتابة في وقت مبكر، فهذا قصي بن كلاب يكتب من مكة إلى أخيه ابن أمه رزاح بن ربيعة بن حرام العذري، في مشارف الشام، يدعوه إلى نصرته والقيام معه في منازعة خزاعة وبني بكر أمر مكة،[٣٠]
وينقل البلاذري –أيضا– أن الإسلام دخل وفي قريش سبعة عشر رجلا كلهم يكتب[٣١]، ويقول عن الكتابة في المدينة: "إن الإسلام جاء وفيه عدة يكتبون، وعدّد منهم أحد عشر كاتبا"، [٣٢]

ولعل في الذي قام به الصحابة في خدمة حاجة الدولة الإسلامية الجديدة سواء في كتابة الوحي أم كتب النبي ﷺ، وما يجري بين الناس من معاملات ما يؤكد الحالة التي كانت عليها الكتابة في الحجاز قبل الإسلام، لأن معظم الصحابة إنما نشأوا واكتسبوا خبراتهم الحياتية في الجاهلية،[٣٣]

وإذا كان لنا أن نقدر لابن خلدون ربطه بين وجود صناعة الخط وعدمها وجودة الخط ورداءته وبين الحضارة والبداوة، فإنه قد انساق وراء ما ينقله الرواة العرب بشان تولد الخط العربي من المسند وانتقاله إلى الحجاز عن طريق الحيرة، وقد أشار بعض القدماء إلى اختلاف أشكال الخطين، رغم ضعف وسائل مقارنة الخطوط ودراسة النقوش آنذاك، فهذا الجوهري[٣٤] ينقل: أن "المسند خط لحمير مخالف لخطنا هذا "..."،[٣٥]

المبحث الرابع
قرار مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

بحث مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف في المؤتمر السادس المنعقد

في الفترة من ٣٠ من المحرم ١٣٩١هـ إلى ٥ صفر ١٣٩١هـ بحثا لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد محمد أبو شهبة عميد كلية أصول الدين بجامعة الأزهر فرع أسيوط، بعنوان "رسم المصاحف العثمانية" تحدث فيه عن الكتابة عند العرب، وفي بداية الإسلام، وعن كتابة القرآن الكريم بين يدي النبي ﷺ وجمعه في عهد الخليفة الأول أبي بكر رضي الله عنه ونسخ المصاحف في عهد عثمان رضي الله عنه ثم تحدث عن معنى الرسم وقواعده، ثم بين مذاهب العلماء في كون الرسم العثماني توقيفيا أو اجتهاديا، وعرض لأدلة العلماء في ذلك، وفوائد الرسم العثماني، وشبه بعض المستشرقين حول كتابة القرآن ورسمه١.

وبعد دراسة الموضوع اتخذ المجمع القرار التالي:

١- يوصي المؤتمر أن يحذر المسلمون ما ينشره أعداء الإسلام عن القرآن الكريم، سواء في ذلك ما يأتي في كتابة بعض المغرضين من المستشرقين، وما يأتي في كتابة غيرهم ممن يكيدون للإسلام، أو يصدون عن سبيله.

٢- فيما يتعلق بالقراءات القرآنية: يقرر المؤتمر أن القراءات ليست اجتهادية، بل هي توقيفية تعتمد على الروايات المتواترة.

٣- يوصي المؤتمر بتشجيع مقرئي القرآن الكريم، على ألا يقتصروا على قراءة حفص، حفظا لكل هذه القراءات الثابتة من النسيان والاندثار.

٤- تخصيص الأزهر منحا لدارسي القراءات في البلاد الإسلامية.

٥- دعوة جميع البلاد الإسلامية إلى تشجيع هذه القراءات بالدرس في المعاهد المتخصصة، وعلى أيدي الثقات من المقرئين.

٦- يوصي المؤتمر جميع المسلمين بتعقب أي تحريف في القرآن الكريم في نصه العربي أو في ترجمة معانيه، وأن يبلغ أمانة المؤتمر بذلك، للعمل على اتخاذ ما ينبغي لوضع الأمر في نصابه.

٧- يؤكد المؤتمر توصيته السابقة بشأن دعم إذاعة القرآن الكريم في الجمهورية العربية المتحدة، وتقوية موجاتها، لتسمع في جميع البلاد الإسلامية بوضوح، وكذلك إنشاء برامج قرآنية تعليمية لأحكام القرآن الكريم، كما يوصي المؤتمر إذاعات البلاد الإسلامية أن تذيع البحوث التي قدمت لدورات المؤتمر، أو ملخصات وافية لها، تعميما لفائدتها وخدمة للمستمعين في أنحاء العالم.

٨- يوصي المؤتمر بأن يعتمد المسلمون على الرسم العثماني للمصحف الشريف، حفظا له من التحريف". (٣٦)

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

خاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف السادات، وسيد البريات، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:فبعدما طوفنا في ثنايا هذا البحث، تبين لنا عدة نتائج، أهمها:

أولا: أن ابن خلدون ﷺ وإن كان يجنح إلى بدائية الكتابة في الصدر الأول إلا أنه لم يقصد الطعن في كتبة الوحي أو في صحابة النبي ﷺ وحاشاه ذلك فهو إمام ثبت له فضل السبق في تأسيس علم الاجتماع وأسهم بدور كبير في علم التاريخ وفلسفته والسياسة والاقتصاد.

ثانيا: أن الرسم العثماني له حكم وأسرار ما زال العلماء يبحثون عنها ويبذلون الوسع والجهد في كشف أسرارها، ولابد من الحفاظ على عبق الصحابة الكرام ﷺ.

ثالثا: أن رأي جمهور أهل العلم من المحافظة على الكتابة فيما اصطلح عليه بالرسم العثماني هو المقدم، وذلك لأن قواعد الإملاء عرضة للتغيير والتبديل من جيل إلى جيل، ومن بلد إلى بلد، فلو كتب المصحف حسب الرسم القياسي وقواعد الإملاء الحديثة، لأدى ذلك إلى اختلاف المصاحف، ووقوع الناس في الإشكال.

على أن إخضاع المصحف للرسم الإملائي ربما يكون مدعاة من قريب أو بعيد إلى التغيير في جوهر الألفاظ والكلمات القرآنية من أعداء الإسلام، وسد الذريعة أصل من أصول التشريع الإسلامي،

التوصيات:

أولا: نوصي بالدعوة إلى كتابة الأبحاث العلمية فيما يتعلق بأسرار الرسم العثماني بضوابط علمية يضعها العلماء الثقات،

ثانيا: عقد مؤتمر أو ندوة علمية تحمل اسم:" الرسم العثماني بين القدامى والمحدثين – دراسة تاريخية استنباطية "، يشارك فيه الأساتذة وطلاب العلم ليدلو كل واحد منهم بدلوه في هذا الموضوع المهم،

ثالثا: إنشاء فريق متخصص من شتى الكليات التي تعنى بالدراسات الإسلامية ليخرجوا لنا عملا متقنا في قضية الرسم العثماني،

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين،

هوامش البحث:

---

(١) أطلق عليه الرسم العثماني إلا أن سيدنا عثمان ﷺ لم يكتب شيئا إلا إذا كان مكتوبا بين يدي رسول الله ﷺ وإنما جمع الناس على مصحف واحد، وبنحو ذلك ذكر القاضي أبو بكر الباقلاني .ينظر: الانتصار (٥٩/١) ط: دار الفتح– عَمَّان، دار ابن حزم – بيروت– الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١ م– ت: د. محمد عصام القضاة.

[١] مناهل العرفان في علوم القرآن ، للشيخ محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (٣٧٣/١) مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه- ط: الثالثة .
[٢] مقدمة ابن خلدون (ص/٣٧٧) ط: دار المعارف ١٩٥٣.
[٣] البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي (٣٨٧/١) ط دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي- الأولى١٣٧٦هـ.
[٤] متن حرز الاماني ووجه التهاني في القراءات السبع للإمام الشاطبي.
[٥] الزركشي، البرهان في علوم القرآن (٣٩١/١) دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه .
[٦] الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (١٧٠/١) دار الكتب العلمية – لبنان الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٦م – ١٤٢٧هـ.
[٧] تاريخ ابن خلدون (٥٢٦/١) ط دار الفكر – بيروت – ١٤٠٨ هـ.
[٨] ينظر: تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي(٦٥/٧)، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية لـ: ناصر الدين الأسد.ط: دار المعارف – القاهرة – ١٩٦٩م.
[٩] المقنع في رسم مصاحف الأمصار لأبي عمرو الداني (ص٩ وما بعدها) ط:مكتبة الكليات الأزهرية.
[١٠] الإتقان للإمام السيوطي (١٤٦/١) ط: المشهد الحسيني – القاهرة – ١٩٦٧م.
[١١] الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (٣٠٥/٢) الناشر: دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.
[١٢] تاريخ ابن خلدون(٧٥٧/١).
[١٣] ينظر: مناهل العرفان للإمام الزرقاني (٣٧٣/١) ط: دار إحياء الكتب العربية – ١٣٥٠هـ.
[١٤] مناهل العرفان (٣٨١/١).
[١٥] ينظر البرهان للإمام الزركشي (٣٧٩/١).
[١٦] البرهان (٣٧٩/١).
[١٨] د شعبان إسماعيل – رسم المصحف وضبطه (ص/٨٥ وما بعدها) بتصرف .
[١٩] محمد بن علي بن الحسن بن مقلة الوزير أبو علي، ولد ببغداد سنة اثنين وسبعين ومائتين (٢٧٢هـ) استوزر لثلاثة من خلفاء بني العباس وابتلي بسبب اختلافاتهم ودسائسهم...تتلمذ على يد ثعلب وابن دريد وعلى أبيه وإبراهيم بن إسحاق في خصوص فنّ وصناعة الخطّ. بلغ في الخط العربي شأناً عظيماً، فهو مؤسس خط النسخ والثلث وهو المنظّر الأوّل لهذا الفن واضعُ اصطلاحاته وضابطُ قواعده ، من أشهر مصنفاته "رسالة الوزير ابن مقلة في علم الخطّ والقلم" توفي في سجنه مقطوع اليدّ واللسان سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة (٣٢٨هـ). إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (المعروف بمعجم الأدباء)، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (٢٢٦هـ) تحقيق: إحسان عباس. دار الغرب بيروت ١٤١٤هـ ١٩٩٣م ٢٥٧٤\٦.
[٢٠] علي بن هلال أبو الحسن المعروف بابن البوّاب، من تلامذة ابن جنّي، كان يعبّر الرؤيا ويقصّ على النّاس بجامع المنصور وله نظم ونثر انتهت إليه الرئاسة في حسن الخطّ وقال ابن خلّكان: أوّل من نقل هذه الطّريقة مِن خط الكوفيّين أبو عليّ بْن مُقلة، وخطه عظيم، لكن ابن البوّاب هذَّب طريقة ابن مُقلة ونقَّحها، وكساها طَلاوة وبَهْجة، وشيخُهُ في الكتابة أبو عبد الله محمد بْن أسد ...وكان ابن البوّاب يذهَّب إذهابا فائقًا، وكان في أوّل أمره مزوقًا يُصور الدُّور فيما قِيلَ. ثمّ

أذهب الكُتب. ثمّ تعانى الكتابة ففاق فيها الأوّلين والآخرين، ونادم فَخْر المُلك أبا غالب" توفي سنة ثلاث عشرة وأربعمائة للهجرة (٤١٣هـ). تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (٢٢٢/٩) ط: دار الغرب الإسلامي– الأولى، ٢٠٠٣ م – ت: الدكتور بشار عوّاد معروف.

(٢١) ياقوت بن عبد الله الرومي، أبو عبد الله شهاب الدين مولى عسكر، المؤرخ الجغرافيّ الخطاط ولد سنة أربع وسبعين وخمسمائة للهجرة (٥٧٤هـ) ببلاد الروم حيث أسِر صغيرا واشتراه مولاه عسكر تاجر ببغداد، اشتغل بالتجارة وبنسخ الكتب فتحصّل له بسبب ذلك علم كثير، من مصنفاته: "معجم البلدان"، "إرشاد الأريب" المشهور بمعجم الأدباء و"معجم الشعراء"... توفي سنة ست وعشرين وستمائة (٦٢٦هـ). معجم الأدباء ل ياقوت الحموي (٢٨٠٤/٦) ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت – الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م– ت: إحسان عباس

(٢٢) علي بن زنكي الولي العجمي، خطاط عاش في بغداد وتتلمذ على ياقت المستعصمي وكلاهما أخذا الخطّ عن الشيخة زينب شهدة بنت الأبري. توفي سنة ثمان عشرة وستمائة للهجرة (٦١٨هـ). نقلت ترجمته من موقع مزامير آل داود مادة: مَن خطّ المصحف الشريف من القرن الأول إلى منتصف القرن الرابع عشر. موضوع نشر بتاريخ ٢٠١٣\٠٢\١٨.

(٢٣) المقدمة ، عبد الرحمن بن خلدون (٨٠٨هـ) باعتناء ودراسة أحمد الزعبي. دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت ٢٠٠١م ص٤٥٥–٤٥٦.

(٢٤) ابن البناء، عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل (٥٦/١) ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان– الأولى، ١٩٩٠ م .

(٢٥) شملول ، إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة (ص/١٤٦): ط: دار السلام – القاهرة – الطبعة الخامسة ١٤٣٦هـ – ٢٠١٦م.

(٢٦) مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مالك بن نبي. ترجمة بسام بركة وأحمد شعبو. دار الفكر المعاصر بيروت بالاشتراك مع دار الفكر دمشق الطبعة الجديدة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م. ص٤٢–٤٤–٤٥–٥٢ . وينظر: مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرنولد توينبي، آمنة تشيكو. المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ١٩٨٩م ص ١٢٢

(٢٧) حقيقة طعن عبد الرحمن بن خلدون(٨٠٨هـ) في رسم المصحف– فتحي بودفلة – موقع أهل التفسير . فتحي بودفلة

(٢٨) د. محمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي– القاهرة – لجنة التأليف والترجمة والنشر – ١٩٤١م.

(٢٩) د. جواد علي: السيرة النبوية ، (ص/٦٩) ط:مطبعة الزعيم – بغداد – ١٩٦١م.

(٣٠) ابن هشام: سيرة ابن هشام (١٠٩/١) ط: شركة الطباعة الفنية المتحدة .

(٣١) البَلَاذُري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، فتوح البلدان(٤٥٣/١)ط: دار الهلال– بيروت.

(٣٢) المرجع السابق (٤٥٥/١) .

(٣٣) د . غانم قدوري الحمد – رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية (ص/١٩ وما بعدها) ط:دار عمار للنشر والتوزيع – عمّان – الأولى – ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .

(٣٤) الجوهري ، أبو نصر إسماعيل – الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٤٩٠/٢) ط: دار العلم للملايين – بيروت – الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

(٣٥) د. غانم قدوري الحمد – رسم المصحف – مرجع سابق (ص/٢٥) .

(٣٦) البحث منشور ضمن مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية بعنوان بحوث قرآنية ص١٤٧–١٧٢.